الفصل الخامس
(هجرة إلي اللّه)

كان شيخه واقفا أمامه وهو ينظر له في ضيق وصدره يعلو ويهبط كمرجل يغلي من الغضب قبل ان يقول له :

- اقترب يا (عدنان)

مثل الطفل الذي ضبطوه يسرق فاكهة أقترب من وجل من شيخه وجلس ما بين يديه، فاقترب منه الشيخ وهو يتشمم ثيابه قائلا:

- أشم منك رائحة الخطيئة، هل فعلت ؟

اطرق برأسه ودمعت عيناه وهو يقول :

- لا أستطيع أن أجاهر بالذنب يا شيخنا.

- إذن هذا إعتراف أنك فعلت، ليتك أنكرت وجعلت الخطيئة سرا بينك وبين ربك.

- ماذا أفعل الأن يا شيخنا، دلني ؟

- غادر نفسك

- وكيف اغادرها، هل أزهق روحي ؟

- لا بل ازهق الباطل بداخلك، غير مكان عملك وغير مستقر أقامتك، عامل ناس أخرين وأنتقي جيدا هذه المره، هاجر بدينك يا (عدنان) .. هاجر بدينك

- إلي أين يا شيخنا

شعر (عدنان) بشيخه يختفي من مكانه بينما ظل صوته يتردد مكررا ، هاجر بدينك يا (عدنان) هاجر بدينك يا (عدنان)

تخافت الصوت شيئا فشيئا قبل أن يستيقظ (عدنان) من نومه وهو يشعر بأن علي كتفيه حملا ينوء به، كانت رؤية شيخه في مثل ذلك التوقيت رسالة بأنه عليه ألا يدع أمر التوبة يقف عند اعترافه بالذنب وتخليه عنه، عليه ترك المكان الذي دفعه للذنب، ليس ترك عبادة الصنم بحل بل عليه تحطيم الصنم كذلك.

شغله يوم عمله الشاق بالمستشفي عن التفكير في الأمر ولكنه حينما خلي بنفسه في استراحة الغداء، أخذ يقلب في الطبق الذي أمامه علي غير هدي وهو يفكر في الأمر.

لتكن هجرة إلي الله ولكن إلي أين ؟ هل يعود إلي باكستان ويعيش مع زوجته وأطفاله ويحيا حياة ملتزمة، ولكن تذكر أنه حياته مع (شهيدة) لم تكن تسعده وربما تقوده الي العودة مرة اخري الي الخطيئة بل وأشد، هل يهاجر الي دولة جديدة ؟ ولكن أي البلاد التي إن ذهب اليها لن يفعل ذنوبا جديدة، كل البلاد مؤمنها وكافرها بها مذنبون بل أن أشد البلاد تمسكا بالمظاهر الدينية هي أكثرها فسادا في الظلام، حسنا ليستبعد البلاد التي بها انحلال خلقي واضح وليتمسك بالأماكن التي يحتاج إليها في الوقت الراهن، قام عقله علي الفور بإستبعاد عشرات البلاد قبل أن يستقر علي دول قليلة جدا أغلبها ليس به فرص عمل له كطبيب باكستاني قبل أن

يتوقف عند (سلطنة عمان) كانت السلطنة هادئة نسبيا وتبدو خارجة عن هذا العالم الصاخب، أهلها طيبون بلا شك وفرص العمل بها متوافرة له كما أن علاقاتها الدبلوماسية بجمهورية باكستان علي خير ما يرام ولذا قام يبحث علي الانترنت علي فرص عمل له هناك قبل أن يجد مستشفي صغير في مدينة (صحار) يبحث عن طبيب نساء وولادة متمرس فيتقدم للعمل هناك

مرت بضعة أيام وهو يتفقد بريده الالكتروني كل يوما بحثا عن جديد دون أن تسعد عيناه برؤية ما تنتظره، حتي كان ذلك اليوم حينما كان يباشر بعلاج فتاة صغيرة السن حينما جائه اتصال من رقم مجهول، كانت المكالمة أتية من (عمان) طلب من الممرضة ان تعتني بمريضته ثم أجاب عن الاتصال بسرعة ، وجائته البشري

- هل يمكننا التحدث مع الدكتور (عدنان) ؟

- نعم أنا.

- معك مستشفي السلام التخصصي ب (صحار) لقد تقدمت لدينا بوظيفة ونود ترتيب مقابلة شخصية معك.

- طبعا، أي وقت ؟

- غدا يمكنك الذهاب الي مستشفي الحياة في الشارقة حيث ستقابل الدكتور (منتصر) وهو سيقوم بإجراء المقابلة المهنية بالنيابة عنا لاننا لا نستطيع اجرائها بأي من الوسائل التقليدية

- حسنا هل يمكنني معرفة الوقت المحدد للمقابلة ووسيلة الاتصال بالدكتور (منتصر) ؟

أملته الفتاة علي الهاتف تفاصيل كل شيء فدونها بسرعة قبل أن يعود لعمله في نشاط وسعادة، مرت المقابلة في اليوم التالي علي خير ما يرام وطلبوا منه إرسال بعض الأوراق من أجل القيام باجراءات تأشيرة السفر له إلي (عمان) وما هي إلا بضعة أيام حتي كانت تأشيرة سفره جاهزة.

وبقي عليه أن يقدم استقالته رسميا من المستشفي التي يعمل بها وأن يصارح (شهيدة) بالتطورات الجديدة، تري بأيهما يبدأ، لم ياخذ وقتا طويلا للتفكير فقدم إستقالته رسميا للمستشفي ثم قام بالاتصال ب (شهيدة) وإبلاغها الأمر، كان الراتب تقريبا هو نفسه الذي يتقاضاه في البحرين ولكنه أقنعها ان المستشفي هناك أكبر وأفضل واسمها سيمنحه ما يريد كما ان قوانين العمل هناك تمنح يومي راحة بدلا من يوم واحد وهذا مفيد له لإستكمال تطوير ذاته في المجال الطبي ، تقبلت الأمر بتعجب ولكنها لم تعلق كثيرا وهذا أرقه في قرارة نفسه، تري هل بدأت تستشعر شيئا ما مريبا به ؟ هل تراودها ظنون بشخصه ؟ ماذا سيحدث لو اكتشفت هل ستصمت أم ستثيرها عواصف وزوابع عليه ؟ لا يدري ولا يريد أن يخمن

مر شهران عليه وهي الفترة التي عليه أن يقضيها في الإنتظار حتي يجدوا بديلا له ثم سافر مودعا (الشارقة) وأهلها نحو البلد الجديدة التي يظن انه سيكون بمنأي عن المعاصي فيها، كان في تلك الفترة علي تواصل دائم مع (ريناتا) وتحدثا لفترات

طويلة بمحادثات كتابية بحتة ولم يتح له أي فرصة أن يقابلها بعد ذلك حتي سافر ، سألته عن الوجهة التي سيسافر إليها فلم يرغب بأن يخبرها الحقيقة فكذب عليها وهو يقول سأذهب للعمل في الأردن ، سألته هل هي بلد جميل فبالغ في مدح جمال البلد الذي لم يراه من قبل.

كان وصوله إلي سلطنة (عمان) سلسلا ، وصل الي العاصمة العمانية (مسقط) ومكث هناك ليلة بأحد فنادقها الصغيرة ثم سافر في اليوم التالي إلي (صحار) حيث أستلم عمله هناك في المستشفي، حاول أن يودع الماضي كله وراء ظهره وبدأ في الالتزام الشديد في الصلاة وقراءة القرأن ، حاول الصوم تطوعا كذلك ولكنه بعد بضعة أيام من الصوم لم يستطع الأستمرار فقرر التوقف علي أن يعوضها في غيرها في العبادات.

من حين لأخر كانت نفسه تحن إلي القليل من الشهوات، كان يلعب مع الشيطان ألعاب مرهقة ، يغلبه الشيطان مرة ويغلب الشيطان أخري، ولكن معظم نزواته لم يدخل فيها عنصر بشري، كانت نزوات الكترونية بحتة

فكر أن يطلب من (شهيدة) القدوم والأستقرار معه ولكن أنتظر أن يستقر به الحال في (عمان) أولا قبل أن يقدم علي هذه الخطوة.

مرت به الأيام علي وتيرة واحدة وأنغمس بالعمل والعبادة حتي أستولي الأمر علي كيانه، حاول توطيد علاقته ب (شهيدة) ولكنها لسبب ما كانت تنفر منه، تري هل تكون خطيئته قد ألقت بظلالها علي علاقته بزوجته فأفسدتها كم افسدت علاقته

بربه ؟ لا يدري أين قرأ أو سمع أن تحول الدنيا وإعراضها أول ما يبدا علي العبد يكون بتحول زوجته ثم دابته وهو يجد مشاكل كثيرة مع سيارته ومع (شهيدة) هذه الأيام.

كانت علاقته ب (ريناتا) لم تنقطع وكان يستشعر الراحة النفسية معها حينما يتحدثا، كانت مثقفة ولبقة ولولا جهلها المطبق باللغة الانجليزية لصارت من المفكرات المعروفات بالعالم، كان يجد لديها الكثير من الإجابات عن أسئلة وجودية تشغل باله حتي أنه في لحظة طيش فكر أن يسألها عن الدين والخطيئة ولكنه تراجع صافعا نفسه كيف يجرؤ وهو المسلم ذو الدين الذي لديه كل الإجابات في سؤال فتاة صينية كنفوشية أو بوذية أو لا دينية مثلها مثل ملايين الصينين علي الأرض، نعم هي لديها حكمة أستخلصتها من تجارب الحياة وصفحات الكتب ولكن الينبوع البشري للإجابات لن يكون أبدا مثل الينبوع الأهي.

فوجيء بها ترسل له رسالة ذات يوم أنها أتية إلي الأردن في اليوم التالي وتسأله إن كان يمكنها المكوث في بيته بضعة أيام، وجم للحظة ولم يدري كيف يجيبها، أيعقل ان يصارحها أنه ليس في الأردن من الأساس وأنه لا يقدر علي اصطحابها في منزله، لقد كذب عليها منذ البداية وعليه الإستمرار في كذبه بكذيبات أخري

أجابها عبر التطبيق :

- هذا خبر رائع ولكن للأسف أنا مسافر اليوم إلي سلطنة (عمان) في مهمة عمل ستستغرق بضعة أسابيع ولن أستطيع استقبالك

- هذا خبر سيء ، كنت أود لقائك.

- لا عليك لنكررها في وقت أخر ولكن لماذا تأتين إلي الأردن ؟

- لا أربح الكثير من المال في الامارات ونصحني عميل أردني بأن اذهب للأردن فبها الكثير من المال، قلت لأتي واجرب حظي.

- حسنا بالتوفيق ، ماذا ستفعلين الأن ؟ هل ستلغين سفرك ؟

- لا طبعا، لقد حجزت كل شيء بإستثناء الفندق، سأقوم بحجزه الأن والتأشيرة سأخذها لحظة وصولي إلي المطار

- هذا جيد، أسف أننا لن نتقابل.

- لا عليك ، ربما في بلد أخر وفي مكان أخر.

- حسنا ، أتمني لك حظا طيبا في سفرك كذلك

شعر بأنه قد أزاح حملا من علي كاهله، وشعر كذلك بأنه صغير جدا أمام الفتاة وهو يكذب عليها مرارا وتكرارا، هي صادقة في كلامها وفي مشاعرها معه أكثر منهن وتسائل في قرارة نفسه من الأقرب إلي الله في تلك النقطة هو أم هي ولكنه لم يشأ المقارنة.

حاول أن يقلل من علاقته العجيبة مع (ريناتا) ولا يسرف في الحديث معها ولكن بين حين وأخر كانت تأخذه إلي عوالمها المختلفة، أرسلت له عدة صور لها بالأردن وسألته هل زار هذه الأماكن، وكذب عليها بأن اخبرها بأنه قد زارها جميعا.

بعد نحو أسبوع فقط من وجودها هناك ، إستيقظ ذات ليلة علي رسالة منها بها صورة وقد كتبت تحتها:

– هل تعرف ما المكتوب هنا؟

كانت صورة لورقة بها بضعة سطور باللغة العربية مكتوبة بخط يد رديء، لم يفهم منها كلمة، لغته الأصلية وهي الأرودو تشبه العربية في كتابتها وهناك مئات الكلمات المشتركة ولكنه يعجز عن قراءة اللغة العربية الأصيلة، فأعتذر لها قائلا :

– لا أجيد العربية للأسف

– ألست أفغاني؟

– الأفغان ليسوا عربا

– حسنا، سأحاول ان أجد شخصا أخر ليقراها لي

– من أعطاك إياها ؟

– موظف الإستقبال بالفندق قال أن الأمن العام قد أتي هذا الصباح وسأل عني ثم تحفظ علي جواز سفري وترك لي هذه الورقة ولكن لم أفهم منها

– ولماذا لم تسألي موظف الأستقبال نفسه ؟

– لا أدري كنت مشوشة وأحتاج إلي شخص أثق به

شعر بالسعادة لعبارتها كونه شخص موثوق به ولكن سعادته تبددت حينما تسائل هل أهل الثقة عند الخطاة شيء مستحب له أم لا .

نفض الخاطر بسرعة وهو يقول لها:

– حسنا انتظري قليلا وسأتي لك بالترجمة

أرسل الصورة لطبيب تونسي يعمل معه بالمستشفي مستفسرا عن ترجمتها فجاوبه الرجل بالترجمة فورا قائلا

– هذه من المخابرات الأردنية تطلب من المذكور اسمها مراجعة دائرة المخابرات العامة في عمان الساعة التاسعة صباحا من يوم الغد.

سأله صديقه التونسي عن قصة هذه الورقة فقال له أنها سقطت من إحدي مريضاته وأراد معرفة فحواها ثم شغله بالحديث في موضوع أخر قبل أن يعود الي (ريناتا) مندهشا وهو يقول :

– ما الذي فعلتيه ؟

– لا شيء، كنت أقضي أيامي بهدوء في الأردن

– هذا استدعاء من أعلي جهة أمنية بالأردن ، من المخابرات العامة نفسها، هل متأكدة بأنك لم تفعلي شيئا ؟

– لم أفعل شيئا.

– هل تعملين في المخابرات الصينية يا (ريناتا) ؟

– لا طبعا.

– إذن هل عملتي في أعمال منافية للأداب ، أقصد هل عملت بالبغاء اثناء وجودك بالأردن ؟

- لا لم يحدث حتي الأن.

- أواثقة من ذلك ؟

- ولماذا اكذب عليك ؟

- حسنا ربما لاحظوا أن سفراتك متعددة في فترات قصيرة وبالنسبة لهم الصنيين فقراء وهذا ألقي علامة إستفهام عليك

- ماذا علي أن أفعل ؟

- لا شيء، اذهبي غدا في الموعد، خذي أي سيارة أجرة وأريه هذه الورقة وهو سيوصلك الي هناك، كوني طبيعية ، وأنت لا تتحدثين الانجليزية علي أي حال، أظن أنهم سياتون بمترجم لك ، وسييأسون منك في النهاية ، ربما يحاول أحدهم الحصول علي خدمات جنسية مجانية منك.

- وماذا أفعل حينها ؟

حار في الإجابة ، يعلم أنه من الأسلم لها أن تمنح تلك الخدمات الجنسية المجانية ولكن لسانه لا يطاوعه علي نصحه بها ولكنه ما لبث أن قال :

- امنحي ما تقدري علي منحه

- حسنا، ولكني سأفعل أمرا مختلفا سوف أذهب الي سفارتي هذا الصباح واطلعهم علي الأمر وأطلب منهم إرسال مترجم او مندوب معي لهذا الشأن لن أستطيع الذهاب لوحدي

- ربما كان هذا من الأسلم لك كذلك، علي اي حال خذي حذرك

- سأطلعك علي التفاصيل كلها غدا

- (ريناتا)

- نعم يا (عدنان)

- هل أنت واثقة أنك لا تعملين مع المخابرات الصينية أو غيرها؟

جاوبه وجه مبتسم وصورة لها وهي تخرج لسانها له كالمعتاد ، فأكتفي عند ذلك القدر، ولكن صمته لم يمنعه من القلق علي (ريناتا) ومنها في ذلك الوقت، تلك الفتاة تخفي أكثر مما تظهر ، ربما كانت فعلا تعمل لحساب المخابرات وربما كانت مهنتها كبائعة هوي غطاء لتلك المهنة ، وهو غطاء مناسب جدا فكم من الرجال مستعد للادلاء بإعترافات واسرار وهو بين أحضان إمراة جميلة محترفة في الحب.

غير أنه تبين سخافة ذلك التفكير فلو كانت تعمل بالمخابرات فلن يرسلوا لها استدعاء بل سيقدمون لاحتجازها وسجنها بأنفسهم كما أنها لا تبدو من هذا النوع ، هي ذكية ولكن ليست من فتيات المخابرات اللايئ يتخيلهن، بعد فترة من التفكير بشأنها أنصرف الي التفكير في أمر أخر.

كان يشعر بالوحدة الشديدة وكذلك يسيطر الملل علي كل يومه وخصوصا بعد إنصرافه عن كل المعاصي والذنوب التي كانت تشغل حياته، يشعر بفراغ في الروح شديد، كان يعلم أن من وجوب سد هذا الفراغ ان يستبدل المعاصي والذنوب بالطاعات والعبادات ولكنه لم يصبر عليها فترك الفراغ لوحده ينهشه

من مباديء المتصوفين كان هناك مبدأ أعجبه يسمي التخلية ثم التحلية ثم التثبيت حيث كانوا يأتون بالشاب التائه العاصي ويجعلونه يتوقف عن عادة سيئة ثم يبدلونها بعادة حسنة ثم يثبتونها بالتكرار حتي يتعود عليها وهكذا حتي تصح أخلاقه ويقوي إيمانه

مر اليوم بكامله بدون أن يسمع منها قبل أن يشعر بالفضول لمعرفة ما الذي جري فأرسل لها صورة تعبيرة لعلامة إستفهام ، مرت دقائق قبل ان تجيب :

– لقد عدت لتوي من المخابرات ، مكثت هناك أكثر من خمس ساعات

– لهذه الدرجة، ماذا كان الأمر كله بشأن؟

– لا شيء ، أسئلة كثيرة عن كل شيء

– وكيف فهموا عليك، هل حضر معك مندوب من السفارة الصينية ؟

– لا ، لم يدعموني في السفارة الصينية ولم يرسلوا معي أحدهم ،كما اني قد سألت صديقا لي بالسفارة فقال بأن ارسال مندوب معي سيثير الكثير من المشاكل

– لماذا ؟

– مبدئيا سيجعل المخابرات يشكون بي ، ثانيا المخابرات الصينية نفسها ستفتح تحقيقا بالأمر وهذا مكمن الخطر ولذا قررت الذهاب لوحدي

– وماذا حدث هناك؟

– احضروا لي أردني يدعي انه يجيد الصينية ولكن لغته الصينية سيئة للغاية ولا اظن أنه كان أمينا في الترجمة

- ولماذا لم تستخدمي التطبيق الذي نستخدمه الأن ؟

- لم أرد إستعماله حتي لا نستغرق وقتا أكثر

- حسنا ما الذي سألوك عنه ؟

- أروني صورة رجل أمريكي وسألوني عن علاقتي به

- وهل تعرفيه ؟

- نعم كان يذهب الي نفس النادي الرياضي بالفندق الذي أقيم فيه، وتعارفنا عبر الحديث من خلال التطبيق ثم دعاني الي غرفته بالفندق

- وهل ذهبت معه ؟

- نعم لمدة نصف ساعة وحاول أن يمارس الحب معي ولكني رفضت ثم طلبت ان أغادر وغادرت

- ولماذا رفضت ، هل لم يرضي أن يدفع ؟

- لا بالعكس ، عرض علي مالا كثيرا ولكني فقط لم احب أن افعلها معه ، لا يبدو صحي أبدا

- حسنا، ربما هو من وشي بك

- لا أظن ، أغلب الظن أنهم يراقبونه هو ، ربما هو ضابط مخابرات امريكي

- الأمر بدأ يصبح مثيرا، حسنا ماذا بعد؟ هل شرحتي لهم الأمر وماذا حدث بينكم؟

– طبعا شرحت لهم وقالوا أنهم يعرفون اني بقيت بغرفته نصف ساعة فقط وهذا ما أثار ريبتهم

– حسنا، هل انتهي الموضوع عند هذا الحد؟

– لا سألوني لماذا ذهبت الي روسيا ؟

– قلت لهم لأني اردت التجارة بالملابس هناك وتركتها لاني لم استطع تجديد الأقامة

– ثم ماذا بعد ؟

– سألوني عن كل مكان سافرت إليه، لماذا سافرت الي فيتنام؟ لماذا سافرت الي تايوان؟ لماذا لم امكث كثيرا في الإمارات؟ لماذا تركت سنغافورة؟

– انت متعددة الأسفار وهذا يثير الشك بالتأكيد

– علي أي حال لم يحصلوا مني علي معلومة مفيدة كما اني شعرت بالجوع وصحت في ضابط المخابرات اني جائعة

– وماذا فعل ؟

– اندهش ثم ضحك ثم أمر باخلاء سبيلي من التحقيق

– إذن الأمر انتهي عند ذلك ؟

– لا اخلي سبيلي بشرط، أن اغادر في غضون يومان علي الأكثر إما إلي الصين وإما إلي أي بلد عربي أخر

– اذن عودي الي الصين

- لا أستطيع، لازلت أريد جمع المال، كما اني لو ذهبت وكان الخبر قد تسرب للمخابرات الصينية فلن استطيع السفر مجددا بسهولة

- ماذا ستفعلين الأن، هل ستذهبين إلي بلد عربي أخر ؟

- نعم ربما (البحرين) أو(قطر)

- تعالي إلي سلطنة (عمان)

لم يدري بنفسه لما تفوه بهذا العبارة، ربما شعر بالتعاطف معها، ربما يشعر أنه يود رؤيتها ، وعلي الأرجح هو ظن أنها لن تقبل دعوته ولكنه فوجيء بها تقول

- حقا ، هل يمكنني المجيء ؟

- نعم طبعا، أنت مرحب بك لو يمكنك الحصول علي فيزا للدخول

- نعم يمكنني ، الصين دولة عظمي ومواطنيها يستطيعون التحرك في معظم دول العالم

- جيد

- هل سأقيم لديك ؟

- .....

- هل لازلت هنا

- نعم يمكنك، يمكنك المكوث في بيتي حتي تدبرين أمورك

- هذا رائع، أنا سعيدة بذلك

أرسل لها عنوان بيته ومعه صورة للبيت من الخارج ثم عاد إلي يومه التقليدي، كان بشكل ما يشتاق الي رؤيتها ولكنه متخوف من تلك الرؤية، هل سيتعامل معها كصديق عادي أم أن شيطانه سيقنعه بإتخاذها عشيقة له وخصوصا لرغبته في الحصول علي قيمة لما دفعه من قبل.

علي أنه لم يعد لديه مجال للتراجع عن الأمر وخصوصا حينما تملص منها في مجيئها للأردن فلا يريد أن يبدو متهربا منها كذلك في سلطنة (عمان).

سأل نفسه هل يذهب لإحضارها من المطار ولكنه قدر أنها ستصل في موعد متأخر من الليل وعليه ألا يزعج نفسه بها، أرسلت له صورة من تذكرة سفرها لتخبره بمجيئها وتأكدت من عنوانه مرة اخري ، بعد وصول طائرتها بساعة فوجيء بها تتصل علي هاتفه تخبرها أنها أنهت اجراءتها بالمطار وهي في الطريق اليه وطلبت منه أن يصف لسائق سيارة الأجرة العنوان ، فعل ذلك ووقف حوله يتطلع إلي شقته في حيرة.

كانت شقته فوضوية كما عهدها، هي أقل فوضوية من شقة الشارقة ولكن بالنسبة لمعايير (ريناتا) الصحية فهي غير لائقة ولذا استغل الوقت المتبقي قبل وصولها وأسرع ينظف الشقة قدر الامكان ويتخلص من أي شيء قد يثير اشمئزازها.

سأله نفسه بفضول وهو يفعل ذلك، هل يفعله لأنه يحبها أم لأنها صديقته، ولكنه قدر أنه لا هذا ولا ذاك، لقد فعل ذلك لأنه الصواب وهو يحب أن يراه الناس دائما علي صواب.

في غضون ساعتين كانت الفتاة قد حضرت إلي المكان، كانت تسافر بحقيبة سفر صغيرة ونفس حقيبتها علي الظهر التقليدية، يود لو يعرف سر تلك الحقيبة، ربما يفتشها أثناء نومها

كانت شقته عبارة عن غرفة نوم واحدة ومطبخ صغير ثم هناك غرفة معيشة بها مائدة لتناول الطعام وأريكة واسعة ، تسائل في نفسه وقد أدرك أنه تسرع بدعوتها أين يمكنها ان تنام ؟ ليس هناك سوي سرير واحد، هل يتشاركا السرير ويحاول كل منهم الحفاظ علي حدوده ام ينام هو علي الأريكة كل يوم حتي تغادره.

كان الأحتمال الأول هو ما يميل له بالتأكيد ولكنه أدرك ان هذا مدخل الشيطان إليه، وبين لحظة وثانية يجد نفسه بين أرابعها ، ولذا قرر أنه عليه النوم علي الأريكة مع احتمال سوء نومته لعدة أيام.

دعاها للدخول لشقته ووضع حقيبته داخل غرفة النوم، قامت بأخذ حمام سريع ثم جائته وهي ترتدي منامة قصيرة وقد فكت شعرها الأسود الفاحم فأنسدل علي كتفيها، لا يشعر تجاهها بمشاعر متوقدة، هي الأن أقل من العشيقة وأعلي من الصديقة بالنسبة له.

كانت تشعر بالنعاس ، وقدر أن رحلتها ولا شك متعبة ، سألها إن كانت جائعة فهزت رأسها إيجابا، لم يكن يريد أن يستغرق وقتا طويلا بالطهي ولذا قدر انه سيعد لها وجبة من الخضروات الطازجة المقطعة ومن الدجاج المقلي سريع التحضير.

لازلت شهيتها واسعة كما عهدها، هذه الفتاة تأكل مثل أنثي فيل عقب الولادة، ومع ذلك لا تزيد جراما واحدا، هذا حلم كل إمراة سمينة لو استطاعت لذلك سبيلا ، أخذ يسامرها في الحديث وهي تتوقف بين الحين والأخر لتشغيل تطبيق الترجمة، لاحظ أنها بدأت تلتقط بعض الكلمات باللغة الانجليزية ولكنها ليست أكثر من بضع كلمات مألوفة لا تسمن من جوع ولا تسعف في موقف

سألها في ود :

- كيف كانت رحلتك؟

- كانت جيدة ولكني لم أنم جيدا، وفي مطار سلطنة عمان استوقفوني كثيرا وسألوني الكثير من الأسئلة

- حقا ، لماذا ؟

- لا أعلم، سألوني لماذا تركت الأردن ولماذا قدمت الي (عمان) وهل أعرف أحدا هنا .

- هذا غريب ، العمانيين ودودين للغاية وليسوا من هواة التدقيق مع الأجانب

- أظن أن المخابرات الأردنية أبلغتهم بشكل ما ، لقد تفحصوا هاتفي كذلك في المطار في قسم الأمن

نظر لها في تعجب قبل ان يقو ل :

- (ريناتا) أصدقيني القول ، هل تعملين كجاسوسة؟

استمعت للترجمة قبل أن تضحك بشكل قوي حتي أن فتات الطعام تساقط من بين أسنانها فمنعته بكفها وهي تعيده إلي سجنه المؤقت قائلة :

- لا طبعا، أنا ليس لي أي صفة أمنية أو سياسية من أي نوع في بلادي ولكن العجيب أنهم أهتدوا إلي محادثات قديمة كنت قد مسحتها من هاتفي والكثير من الصور التي كنت قد حذفتها، بعض منها غير لائق لو تفهمني ، نفس الشيء فعلوه في المخابرات الأردنية ، لا أعلم ما البرنامج او الشفرة التي يستعملونها ولكن الأمر مقلق.

- لماذا، لو كانت المحادثات والصور ذات طبيعة جنسية لن يكون هناك أي خطر عليك ، علي الأقل لن يؤدي بك الي السجن.

- لا ليست أجهزة الأمن العمانية والاردنية ، مشكلتي أنه بالصين بالتأكيد أجهزة الأمن تعرف هذا البرنامج أو الشفرة وربما يستعملونها لقراءة محادثاتي القديمة والإطلاع علي صوري المحذوفة ، وهم من أخشاهم.

تطلع لها للحظات ولم يدري ما يقول ، كانت قد أنهت طعامها ، فحمل الأطباق منها ولكنها أصرت أن تصحبه وهي تعاونه في غسلها بالمطبخ وتتطلع حولها إلي المكان المنظم والمرتب علي نحو جيد قبل ان يسألها بغتة :

- لدي سؤال يحيرني ، أنت تدخلين الكثير من الدول بسهولة وتحصلين علي التأشيرة في المطار ، كما أنك تتأقلمين مع البلدان بشكل غريب، هل هناك سر وراء ذلك ؟

أجابته قائلة :

- يا عزيزي، (الصين) دولة عظمي ولدينا علاقات سياسية واقتصادية قوية مع كل دول العالم بلا استثناء ولذا نحن نستطيع الحركة بسهولة، هناك عشرات الدول التي أستطيع ولوجها أما بدون تأشيرة أو بالحصول علي التأشيرة في المطار ذاته وبقية الدول يمكنني التقدم لفيزا سياحية عليها من أي سفارة بدون تعقيدات، هذه إحدي مزايا الانتماء لدولة قوية

- وماذا عن تأقلمك السريع ؟ ألا تخافين من الدول الغريبة عليك وخصوصا أنك لا تتحدثين أي لغة أخري غير الصينية ، كيف تستطيعين التحرك والتصرف ؟

- بسيطة ، كل الصينين لديهم إشتراك علي إحدي وسائل التواصل الإجتماعي وفور أن أصل إلي أي دولة أبدأ في التواصل مع الصينين هناك، كلنا نساعد بعضنا ونادرا أن تجد صينيا يرفض مساعدة احد ابناء وطنه ، نؤمن لبعضنا البعض المأوي والغذاء وفرص العمل كذلك ، هذا هو سر قوة الأمة الصينية، ربما أنتم الافغان لا تفعلون ذلك

- صدقت ، كل مواطني الدول يساعدون بعضهم إلا نحن ، الكثير يرفض المساعدة أو يتنصل منها

- شعر بها تقترب منه وتحتضنه من الخلف وهي تضع رأسها الصغير علي رأسه قبل ، لم يشأ التحرك ولم يحاول تفسير تصرفها الغريب هذا ، هل هي حركة بريئة أم تقصد من ورائها شيئا ما حميميا، لم يتحرك ولم يهتز تاركا لها الفرصة لأن تحيا

اللحظة حتي أخرها، بعد برهة شعر أنها قد اطالت الأمر فألتفت وهو يفك ذراعيها من حول وسطه وينظر لها، كانت شبه نائمة وعيناها متثاقلتان، لابد أنها تشعر بالنعاس من تعب الرحلة، أشار لها بيديه هل ترغب بالنوم فهزت رأسها موافقة ، حملها بين ذراعيه مثل فتاة صغيرة ، لم يكن قوي البنيان ولكن جسد الفتاة قابل للحمل بدون جهد، استسلمت له ومنحته ابتسامة مجهدة ، وضعها بالفراش وهو يضع عليها الغطاء ثم يتوقف في إنتظار الخطوة التالية، هل تدعوه الي الفراش، وهل يقبل؟ هل يلج هو الي الفراش وهل تقبل هي؟ كان بين شيطانه وضميره فكرتان متصارعتان، أشارت له الي الفراش أن يأخذ مكانه الي جانبها ولكنه أشار إلي الخارج بأنه سينام علي الأريكة . صمتت وأغلقت عيناها وبدا أنها سقطت في بئر السبات العميق.

أطفا الأنوار حتي يمنحها إضاءة خافتة قبل أن يغادر وهو يطفأ أنوار الشقة كلها واحدة تلو الأخري، جلس مع شاشة هاتفه الحديث وهو يمر عبر صفحات التواصل الإجتماعي وما أكثرها، لديه أكثر من عشرة وسائل يستعملها للتواصل من الواتس اب إلي الفايبر والايمو واللاين والفيس بوك والتانجو والتندر والوي تشات وغيرها ولكنه رغم ذلك يشعر بالوحدة الشديدة ، ربما لأن الله ليس مضافا إلي أيا منها، منذ متي لم يشعر بطعم الايمان الحقيقي، لا يدري ولكنه يعلم أنه انسلخ من ذاته القديمة بالتأكيد.

شعر بالنوم يداعب جفنيه فنام في مكانه، لم يكن هناك من غطاء أو وسادة فقد تركها كلها ل (ريناتا) كان الجو باردا ، شعر بنفسه يعاني مشكلة في النوم فأستيقظ بعد ساعة وهو يدخل الي غرفة نومه في هدوء حتي لا يوقظها ، ارتدي ملابس نوم ثقيلة مع جوارب حتي يشعر بالدفء قبل ان يغادر، مر علي الثلاجة شرب كوبا من اللبن وأعقبه بقطعة من الفاكهة لعلها تساعده علي النوم، وعاد مره أخري إلي أريكته، لثلاث ساعات كاملة فاوض النوم حتي يأتيه ونجح أخيرا في مفاوضاته مع مطلع الفجر، نام بعمق شديد قبل أن يشعر بلمسات حانية علي صدره، فتح عينيه ببطء كانت (ريناتا) قد استيقظت ووقفت بمنامتها المثيرة فوق رأسه، ثم بدأت تلامس صدره، هل ترغب به ؟ لا يظن، لو أردت لصرحت،هي فتاة تعرف ما تريد وتسعي له، ربما هي تشعر بعاطفة تجاهه أو شفقة لأنه نام علي الاريكة وترك لها فراشة، ابتسم للمساتها وتركها تعبث به قليلا، فوجيء بها تتخذ مكانها إلي جواره علي الأريكة الواسعة وتتوسد صدره وتنام مرة أخري، مثل قطة لاذت بصاحبتها الاثيرة، لم يمانع ، هذا أهون ما في العلاقة ، وحضن صغير لن يضير، بين نومته ويقظته أخذ يداعب شعرها الناعم بهدوء حتي نام مرة أخري

بعد بضعة ساعات أستيقظ علي صوت منبه هاتفه ، تطلع ل (ريناتا) الغارقة في نومها في صمت، قبل أن يستجمع جسده وينهض محاولا أن يعيد تمركز جسدها بهدوء من علي صدره إلي ظهر الأريكة دون ان يزعج نومها، فعل ذلك بإحترافية يحسد عليها.

قام الي حمامه الصباحي المعتاد ثم تناول افطار صحيا بسيطا قبل أن يغادر علي عجلة الي عمله، طوال اليوم كان يفكر ب (ريناتا) وخطوته معها، كم ستمكث لديه ؟ هل لديها مكان تذهب إليه ؟ كان من السهل عليه لفظها من حياته ولكنه يريدها قربه ، أولا هي تمنحه الراحة وثانيا يشعر بأن عدم اقترابه منها مع إستطاعته ذلك تكفيرا عن ذنبه السابق ولكنه يخشي أن ينقلب السحر علي الساحر ويخطأ معها مجددا.

شعر بها ترسل له رسالة بعد منتصف اليوم تسأله أين هو فأجابها قائلا :

– انا هنا بالعمل

– متي ستعود ؟

– بعد ثلاث ساعات من الأن

– حسنا

– هل تناولت طعام الافطار ؟

أرسلت له صورة لطعام كثير علي المائدة، الفتاة أعدت لنفسها وليمة وتأقلمت مع بيته مثل ضيف طفيلي ولكنه علي الأقل شعر بالراحة أنها تتصرف علي سجيتها ولا داعي للقلق بشأنها، عاد يقل لها :

– حسنا،كوني علي راحتك، سأعود ونتناول العشاء معا.

– حسنا ، وداعا.

حينما عاد ذلك المساء ، أدرك معني ان تكون حياة الرجل في وجود المرأة،كانت ريناتا قد رتبت مطبخه من جديد وغسلت كل ملابسه المتسخة وملابسها كذلك،

لاحظ أنها ارتدت بعض ثيابه الباكستانية فضحك لذلك ، سألها ماذا ترغب أن تأكل اليوم وهل تأكل بالمنزل ام بالخارج ، فقالت له :

- كما تحب

- حسنا ، سأطهو لك برياني جميل مع خضار.

- يبدو لذيذا.

أكثر ما يعجبه في الصينين أنهم لا يرفضون أي طعام يقدم لهم، لديهم مقولتهم الشهيرة والتي تقول نحن نأكل كل ما في البحر سوي السفن وكل ما في الأرض سوي السيارات وربما هذا ليس غريبا علي شعب يأكل بعض افراده الأجنة الميتة.

قام بإعداد الطعام وعاونته هي قليلا هنا وهناك قبل أن يسألها بغتة :

- بالأمس حينما طلبت مني الولوج للفراش هل كنت ترغبين بي ؟

- ماذا تعني؟

- اعني هل رغبتي فقط أن انام إلي جوارك أم امارس الحب معك ؟

- لا فقط تنام إلي جواري لانه ليس هناك من مكان أخر ملائم تنام به، لكني لا افكر في ممارسة الحب معك

شعر بالإهانة وهو يقل لها بضيق:

- لماذا ؟

- أولا نحن أصدقاء الأن وثانيا أنا اخبرتك أني اختار من أنام معهم وامارس معهم الحب ، يجب ان يكونوا أصحاء

- كيف هذا وقد حضرتي الي منزلي أول مرة ولم تكوني تعرفين كيف أبدو وما هي عاداتي ؟

- المرة الأولي لا تحتسب ، أستطيع التعامل مع جسد الرجل ورائحته وشكله وحتي سلوكياته وشكل منزله، ولكن لو لم يعجبني الرجل أطلب من مديرتي ألا ترسلني له مرة أخري، وأحيانا أطلب منها أن ترسل لي صورة الشخص قبل ان ترسلني له أو ترفض بعض الجنسيات بعينها، أنا لا احب العرب علي سبيل المثال، أفضل الاوربيين عن الامركيين وهكذا.

تعجب من وجهة نظرها الإنتقائية في مجال عمل يقوم مبدأه علي ممارسة الفجور مع الرجال بلا تمييز، فعاد يسألها في فضول حذر :

- وماذا عني أنا، هل ترغبين بممارسة الحب معي مرة أخري ؟

نظرت له للحظة فور معرفتها بترجمة عبارته قبل أن تهز رأسها نافية في شدة وكأنها ترفض الموت قبل ان تقول :

- أنت شخص غير صحي وعاداتك وحياتك غير صحية رغم عملك كطبيب، وأظن أن تفكيرك غير سليم كذلك معظم الوقت، وأنا قلت لك مسبقا ، أنا لا امارس الحب مع الأشخاص غير الطبعيين.

كانت كلامها قدحا في شخصه،حتي بائعة الهوي لا تراه جديرا بها ، أغضبه الأمر ولكنه كتمه داخله وقام بطهو الطعام دون أن يتبادل معها أي عبارات اضافية ، ثم

وضع الطعام علي المائدة هذه المرة عوضا عن الجلوس علي الأريكة، استشعرت انه قد تضايق من كلامها فقامت تمسح بيدها علي شعره وهي تقول له :

- أنت صديقي، معلوم

لانت ملامحه وهو يجلسها إلي جواره لتناول الطعام، هي لم تخطأ، هي لم تتهمه في رجولته ولم تقل شيئا ما عن شخصه، هي تكلمت عن عاداته وهذا حقها كصديقة، هي ليست حبيبة أو عشيقة كما أن كونها عاهرة لا يعني أنها تكتم أنفها وتصمل عيونها عن رؤية ما يسوءها في أشد اللحظات حميمية، هي تهب جسدها لمدة ساعات سليمًا معافي وتريد لنفسها أن تسترده كذلك فيما بعد سليمًا معافي، راوده شيطانه بفكرة أن يعرض عليها مالا لتمارس الحب معه مرة أخري ولكنه قدر أنها ستعتبر ذلك إهانة وربما خرجت من حياته للأبد وهو بشكل ما قد أدمن وجودها حتي بدون علاقة حسية فيما بينهما.

تناول طعامه في بطء حيوان الكسلان بينما هي قامت به كأرنب يهرب من خطي صياد، فأكلت ثلاث أضعاف ما أكله، تلك الأنثي المثالية حلم كل رجل ، التي تأكل ولا تسمن، كانت زوجته (شهيدة) نحيفة ولديها جسد رائع ولكنها في الفراش أجهل من دابة.

لاحظت هي صمته طوال الوقت ولا يدري هل تسرب إلي نفسها ضيقه وحزنه ، فقامت تضع رأسها علي صدره، لم تفعلها كأنثي بل فعلتها كطفلة أتخذت مجلسها علي صدر أبيها، لامس شعرها بحنان فنظرت له ثم أخرجت لسانها كالمعتاد.

اعتدلت بعد قليل وهي تقل له :

- أين ستنام الليلة؟

أشار إلي الأريكة التي يجلسان عليها وهو يقول :

- هنا.

مطت شفتيها إستياءا قبل أن تقول :

- لا أشعر بالراحة لذلك، لقد جئت لأقلب لك نظام حياتك ، يمكنك النوم إلي جواري فالفراش يتسع لنا.

- لا أفضل ذلك

- لماذا؟

- أحاول أن اكون انسانا صالحا ووجودي معك في نفس الفراش شيء سيء في عقيدتي حتي إن لم نفعل شيئا

- هل أنت متزوج؟

أحتار ماذا يقل لها، هي لا تعلم عن عقيدته شيئا ولن يحاول أن يهديها للإسلام الأن بعد كل ما حدث بينهما وإلا سيبدو مثل الذئب الذي يعظ في النعاج ، وكذلك لا يستطيع إخبارها أنه متزوج وإلا ستشعر بأنه خائن لزوجته مثل كل الرجال الذي قابلتهم، كان يحاول الحصول علي صورة متماسكة أمامها فكذب عليها مجددا.

وهو يقول :

- لا لست متزوجا الأن، كنت متزوجا فيما مضي من فتاة في بلادي ولدي طفلان ولكني تركتها منذ فترة بعيدة

- لماذا؟

- كنت علي سفر دائم وهي طلبت مني الإستقرار فلم أفعل وكان الطلاق.

- هل تحبها ؟

احتار ماذا يجيب ، وهل ستؤثر إجابته علي علاقته الملتبسة ب (ريناتا) قبل أن يقول :

- نعم لازلت احبها.

- إذن نصيحة مني لك ، عد إليها وإلي أطفالك

- سأحاول ، أشعر بالرغبة في حياة أسرية مستقرة عادية

- الزواج مهم جدا لكلا من الرجل والمرأة

نظر لها في دهشة من لا يصدق أن هذا الكلام يصدر منها فعادت تعقب:

- الزواج ووجود شريك أخر تمضي معه حياتك هو أهم شيء، ويحفظ للإنسان توازنه النفسي والاجتماعي، حتي لو كان هذا الزواج به مشاكل ، فهو يظل أفضل من حياة الوحدة، هل تعلم شيئا ؟ في اليوم التالي لوفاة والدي منذ بضعة سنوات ، أقتربت من والدتي، علاقتي لم تكن قوية بها ولا بأبي ، ربما لكونهما مختلفان عني،كانت تبكي بحرقة علي وفاة والدي، مسحت لها دمعها وأنا أقل لها دعيه يمر

إلي ما ذهب إليه وانتبهي لحياتك، لا تبقي هكذا، تزوجي أول رجل تعجبين به ، لا تستسلمي لشعور الارملة الوحيدة التي تمضي بقية حياتها حزنا علي شريك، الإخلاص يكون مادام الشريك علي قيد الحياة ، فإن مات تحررت من ذلك الألتزام ويكون عليك الذهاب الي شريك أخر ، تلك هي الحياة.

– أظن أن هذا كلام قاسي تقوليه لأمك الأرملة في ثان يوم وفاة لأبيك.

– أنا إنسانة أفكر بعقلي قبل قلبي، ربما عقولنا مختلفة ولكني لا أظن أني طلبت منها شيئا سيئا.

– وهل تزوجت من بعده ؟

– حتي الأن لا، هي لم تجبني ولكن أظن أنها اقتنعت بما أقول وستعمل به فور أن تجد الرجل المناسب

– وماذا عنك أنت ؟ هل ستتزوجين؟

صمتت (ريناتا) وكأنها لم تتوقع سؤاله وبدت مثل الفيلسوف الذي ينصح الناس بشيء هو أبعد الناس عنه قبل أن تقطع حبل صمتها قائلة :

– أنا كنت علي وشك الزواج منذ نحو عشر سنوات ولكن لم يحدث الأمر.

– لماذا؟

– كان صديقي منذ أيام الدراسة وقد ساعدني كثيرا في حياتي، كان لي أكثر من مجرد حبيب، كان صديق، نتناقش سويا ونتحدث في كل شيء ونتجادل ولكن لا نختلف، ولكنه لم يبدو ميالا إلي ممارسة الحب معي، فعلناها مرة أو مرتان علي

الأكثر في خمس سنوات لدرجة أني شكتت في أنوثتي في البداية ثم شكتت في رجولته في النهاية ولكن رغم ذلك لم أمانع وجودنا سويا، طالما أحبه ويحبني.

- ولما لم تتزوجان؟

- كان غير صحي بالمرة مثلك

- مثلي أنا ؟

- ليس تماما، هو كان غير صحي بالمرة، يسهر كثيرا وينام كثيرا، يشرب الكحوليات، ولا يعمل في وظيفة ثابتة، يقامر بالمال علي رهانات فاشلة كثيرة وأخيرا وهذا أكتشفتها بنفسي كان مدمنا للمخدرات.

- هذا كثير جدا.

- نعم ، تشاجرت معه كثيرا من اجل الموضوع الأخير وخصوصا أنني كنت من ينفق في هذه العلاقة ولم يكترث هو بالإنفاق علي وعلي إحتياجاتي، العجيب أنه كان يجيد اخفاء الأمر حتي عن والديه، كان بيته فوضويا كثيرا ولكن حين حضور والديه ينشط قبلها في ترتيب البيت من الداخل والخارج ويغتسل ويرتدي أفضل ثيابه ثم يقابلهم وكأن شيئا لم يكن

- ثم ؟

- ثم تحت ضغط العلاقة المتردية فيما بيني وبينه تشاجرت معه ذات مرة ثم ذهبت الي البار لاحتساء الخمر، لم أدري بنفسي سوي في اليوم التالي في فراش شاب صيني بدين تقيأت بمجرد رؤيته واعية

– هذا سيء.

– نعم كرهته لأنه أخرج أسوا ما بداخلي وخصوصا أنه قد ورطني في أشياء كثيرة لازلت أدفع ثمنها الي الأن، لا أحب صحبة الرجال غير الصحيين لهذا السبب، الرجال الأصحاء نفسيا وجسديا يعنون علاقات صحية ، غير ذلك كل العلاقات تؤثر سلبا علي.

– هل لي أن أسالك سؤال؟

– بالطبع

– كم من المال تحتاجين حتي تتوقفي عن هذا الأمر ؟ أي بيع الجنس للغرباء مقابل المال

اخرجت لسانها له وهي تقول

- الكثير
- ماذا تعني بالكثير، الف دولار مثلا ؟
- أنت تمزح، حينما أقول الكثير فأنا أعني الكثير والكثير من المال أكثر مما تستطيع تخيله
- هل تجمعين المال لأنك تريدين ان تكوني ثرية، هذه ليست حياة
- هل تصدق أني لا اطمع في الثراء من جراء ذلك، أنا أريد فقط أن أسدد ديوني التي تورطت بها وأبدا بداية نظيفة في أي اعمال.
- ما مقدار ديونك ومتي تورطت بها ؟

- الكثير من المال أكثر مما استطيع توفيره في سنوات، وتورطت بها أثناء عملي في روسيا ، كنت مع صديقي هناك نعمل سويا في تجارة الملابس.
- وكيف تورطت في كل هذا القدر ؟
- كنا هناك نأخذ كميات كبيرة من الملابس لبيعها لصالح تجار روس ، مكثنا سنتان ، جنينا الكثير من المال قبل أن يقامر به في ليلة واحدة لنعود مفلسين ومديونين بأكثر من الوف الدولارات لصالح تجار لا يعرفون التفاهم، هرب هو إلي الصين واصطحبني معه ولكن في طريقي استطاعوا اختطاف كلبي المدلل مني وساوموني عليه للعودة وتوقيع صكوك بأموال علي نفسي.
- وعدت من أجل الكلب فقط ؟!
- نعم
- حمقاء
- لا ، كنت أحب هذا الكلب كثيرا ، كما أنه روح ،حياة لا أقبل ان تفني بسبب خطأ ما قمت به، ولذا عدت ووقعت علي تلك الصكوك المالية وأنا ملزمة بأن أرسل لهم المبلغ كله في غضون فترة زمنية محددة وملزمة كذلك بدفع مبلغ شهري نظير إنتظارهم.
- وهل أعطوك الكلب مرة أخري ؟
- نعم.
- أرني صورة ذلك المحظوظ.

قامت بالتفتيش في جوالها المحمول قبل أن تريه صورة كلب من فصيلة الراعي الألماني الشهيرة، كان كلبا رائعا وتعجب في قرارة نفسه كيف أهدرت كل هذه السنين لتسديد كل هذه الديون من أجل كلب، هل هي إنسانية مفرطة أم غباء بلا حدود، الكلب محظوظ بالتأكيد وتلك هي الحقيقة الوحيدة التي يوقن بها.

عاد يسألها مجددا:

- إذن لنفترض أنك قومتي بتسديد تلك الديون الهائلة التي تثقل كاهلك وتحررت، ماذا ستفعلين بعدها ؟
- سأعود إلي بلادي وادرس القانون ثم أعمل بالمحاماة

كانت نظريتها عجيبة عن التطور الوظيفي من عاهرة تبيع خدمات جنسية إلي محامية في أروقة المحاكم، هذا تصور مدهش لحياتها ولكنه قدر أن الأمر مستهجن في ثقافته هو وليس في ثقافتها هي علي الأرجح، فعقب علي عبارتها

- ألن تتزوجين وتنجبي أطفال ويكون لديك عائلة ؟
- لا.
- لماذا، ألست من أنصار الزواج والشراكة كما تقولين؟
- أظن أن الوقت تأخر علي، وحينما انتهي من ديوني سأكون في الأربعين تقريبا وليس هناك وقت للزواج
- ألم يعجبك أيا من عملائك الذين مارست الحب معهم ؟

- أحببت الرجال العرب فهم وسيمون ولكن ليسوا صحيين ولذا لا فرصة لأحد في الوقت الحالي
- ما مواصفات فارس أحلامك ؟
- لابد من أن يكون رياضي ، أنا لا أحب الأجساد الضخمة بالمناسبة ، يكفيني أن يكون رياضيا، وأن يكون ذكيا ومنظما في حياته ، يعرف ماذا يريد وكيف يحصل عليه، لابد من أن يكون اجتماعيا كذلك، الرجل الذي يشارك في كل المجالات والمناقشات بسهولة ويسر هو رجل صحي للغاية
- حسنا، طلباتك معقولة، الأرض بها ثلاثة بلايين رجل وبالتأكيد هناك أحدهم من ستطبق عليه شروطك
- لقد أخذتني في الحديث ، كنا نتكلم عن أين ستنام، ولا يعجبني أك تنام عن الأريكة، من الغد سأبحث عن مكان أستقر فيه.

في قرارة نفسه سعد لقرارها فوجودها معه يربكه ويربك يومه وكذلك يعرضه للمشاكل علي النحو البعيد، ولكنه لم يشأ أن يسألها عن الأمر حتي فاتحته، علي سبيل المجاملة المهذبة قال لها:

– لا عليك ، أنا متوائم مع الوضع

– لا يمكنني الإستمرار هكذا، أنت تريد إستعادة حياتك ، وأنا أيضا أريد البحث عن عمل، أريد أن أجني المال مجددا.

- وكيف ستحصلين علي عمل في (صحار) وأنت لا تجيدين الأنجليزية وعلي فيزا سياحية فقط؟

- لا تقلق بشأن ذلك، نحن الصينين نتصرف دائما ولقد تواصلت عن طريقة الشبكة مع سيدة صينية هنا تملك نادي صحي ورياضي وستساعدني في الحصول علي عمل كغطاء لوجودي كما ستسهل لي الحصول علي عملاء لعملي الأخر.

لوهلة توقف وهو يستمع لكلامها مندهشا من نفسه، لو أخبروه منذ سنة واحدة فقط أنه يوما ما سيكون جالسًا مع بائعة هوي تحكي عن عملها بهذه الاريحية ولن يبدي استياء من حديثها لما صدقهم ولاتهمهم بالخيال المفرط وها هو الأن يستمع إلي حديثها وكأنها تحكي عن عملها في مستحضرات التجميل، لأشد ما تغير ولا يعجبه هذا التغيير فيه، لقد بدأت نخوته وشهامته تروح منه رويدا رويدا.

لم يعلق علي عبارتها بل فقط قال :

- سأنام هنا ولو شعرت بالتعب سأذهب لكي أنام إلي جوارك ، هل هذا جيد ؟

- حسنا؟

جال في خاطره أن يسألها عن الحقيبة التي تحملها دوما علي ظهرها وما تخفيه بها، لم يستطع إبتلاع فضوله فسألها :

- (ريناتا) هل لي أن أسالك عن حقيبتك؟

سألته في دهشة :

- أية واحدة؟

- تلك التي تحملينها علي ظهرك باستمرار حتي وانت ذاهبة لمقابلة زبائنك، ما سرها ؟ ما الذي تخفينه بها؟

ابتسمت وهي تقل له :

- هذا سري الصغير العظيم ولن تعرفه سوي حينما تصير ثقتي بك مثل ثقتي بنفسي لم يحاول ارغامها علي الإجابة وقدر أنه لن يعرف أبدا بهذه الطريقة سر الحقيبة .

أشارت بيديها الي رأسها علامة أنها تريد النوم ، فقام يحملها مثل الليلة السابقة، وهو يضعها في فراشها ويغلق الأنوار عليها، جلس يتفكر هل يذهب لينام جوارها من البداية أم ينأي بنفسه عن فتح باب الشهوات من جديد.

قرر أن يقاوم رغباته وأن ينام علي الأريكة ولكنه لساعة كاملة جافاه النوم، شعر بالحنق لضعف إيمانه ولكون صبره علي نفسه لم يجاوز ساعة، فذهب يتسلل إلي فراشها الذي كان فراشه، واندس جانبها بهدوء وهو يتأمل ظلال وجهها في ضوء معتم يستر أكثر مما يكشف، لاحظت وجوده فوضعت يدها علي صدره دون أن تقل شيئا، شعر بالرغبة تشتعل في داخله، ضميره صرخ به بصوت عال ان يبتعد عنها ولكنه لم يستمع له، احتضنها بشده وطبع علي خديها قبلات خفيفة لم تبدي عليها اعتراضا ، حاول تقبيل شفتيها فأعرضت عنه، لم يدري هل لسبب رغبتها بالنوم أم عدم رغبتها به من الأساس

جرب إختبار رغبتها ، حرك يديه إلي الأسفل لمداعبة صدرها، لم تحرك ساكنا ولم تبدي أي ردة فعل، فتجرأ أكثر وزحف بيده إلي مناطق أخري، تحركت مره أخري

تمنعه، لم يستطع فهمها إن كانت تريده ان يستمر ام يتوقف فقرر التوقف من تلقاء نفسه ثم احتضنها لدقائق أخيرة قبل ان يغادر الغرفة وينام علي الأريكة كالمعتاد

في الصباح الباكر قام متثاقلا، يشعر بوهن الذنوب علي كاهله ويشعر بأنه سيظل مكبلا بها إلي الأبد، ربما عليه الإعتراف أمام ربه أنه ضعيف ويبكي من أجل النجاة، لا يستطيع التظاهر بالقوة مجددا وبأنه قادرا علي العودة، كان مثل من سلك طريقا وهو يظن أنه سيستطيع العودة فلما تقدم قليلا نسي كيف يعود وتفرقت به السبل ولا سبيل بأخراجه إلا بمساعدة إلهية ، ربما عليه البكاء او الصراخ لربه حتي يرسل له من يأخذ بيده.

شعر بكآبة خفيفة فلم يتناول إفطاره أو حتي يقوم بحمامه الصباحي المعتاد، رغم كل حديث (ريناتا) عن الرجل الصحي، غسل وجهه وصلي فرضه وشعر بالضيق كونه لا يعلم هل هو طاهر في الأساس أم نجس، ثم ارتدي ثيابه ومضي.

حاول أن يركز في عمله فلم يستطع بل وأخطا في التشخيص مرتين في الحالات التي مرت عليه، واحدة منهن أدركها قبل أن تغادر وغير لها نوع الدواء والثانية لم يدركها فقرر الإتصال بها لاحقا لدعوتها لكشف جديد

يعرف أن المعصية تجلب غضب الرب والغضب صوره كثير وليس أقلها عدم التوفيق في الحياة، وتذكر قوله تعالي " ومن يعرض عن ذكري فأن له معيشة ضنكا" قال السلف له من قبل لا يجتمع زنا مع غني ، وهم محقون في ذلك ولكن كيف السبيل في إطفاء غضب الرب ، لا سبيل سوي الصدقات، عليه التصدق

كثيرا، قام إلي إدارة التبرع بالدم بالمستشفي طالبا التبرع بالدم ثم أرسل إحدي الممرضات ببعض المال لوضعه في صندوق التبرعات في أحد الاماكن الخيرية القريبة وهو يتعشم ان يجدي هذا.

حاول أن يطيل في فترة وجوده بالمستشفي حتي يقلص فترة إحتكاكه ب (ريناتا) إلي الحد الأدني، لقد تجاوز معها بالأمس ولا يدري هل ستزل قدمه معها الي المعصية اليوم، ربما يطلب منها بصفتها صديقته ان تمنعه نفسها ولكنه تأكد أنه هش الايمان الأن فحتي لو صرفته عنها فهو سيبحث عن نساء أخريات لشهوته.

سمع مسبقا أن علامات قبول التوبة هو عدم عودة العبد إلي المعصية مجددا وحيث أنه قد عاد فهذا معناه أن توبته لم تقبل منه بعد

ولكن كيف الهروب والتوبة ؟

لقد حاول ولكنه فشل

هل يستسلم ؟

هل ينتظر قدر الله المحتوم فيه ؟

لا يظن أن هذا يجدي، فلو تيقن الناس من عدم التوبة لفجروا أكثر، لو ظن أن مصيره مهما كان إلي النار فكل شيء مباح الأن والذنوب في العصر الحديث أصبحت عددا غير حصري من الخيارات، كل رغباته ونزواته الشاذة ستنطلق من أعنتها، ربما يضاجع فتاة وأمها، أو اختان أو ربما يضاجع رجل مثله، فالنار أيا كانت مصيره ، ولكنه في قرارة نفسه أدرك ان الله أكبر من ذلك.

هو من قال " ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه".

أنهي يومه قرابة الثامنة مساءا ثم عاد بسيارته إلي البيت،حينما فتح باب شقته لاحظ أن الإضاءة معتمة والجو هاديء، هل يعقل أن تكون (ريناتا) نائمة، أشعل الإضاءة بهدوء وتفقد غرفة نومه ، كان فراشه مرتبا وهي لم تكن موجودة، هذا غريب والأغرب أن حقيبتها لم تكن هناك كذلك، لقد رحلت كما قررت ولكنها لم تخبره حتي برسالة نصية

قام بتفقد صوان ملابسه ، وهل فقد منه شيء ولكنه وجده كاملا ولام نفسه علي سوء الظن بها، كونها تبيع جسدها لا يعني أنها يمكنها ارتكاب جرائم أخري، هي اوضحت لها أنها تقوم بهذا لسبب معين وبإنقضائه سينقضي كل شيي.

شعر بالرغبة في تفقدها فأرسل لها رسالة نصية يسألها أين هي، جائته الإجابة علي الفور

– لقد مرت بي صديقتي وأخذتني إلي مكان أقامتي الجديد

– أين هذا ؟

– ليس بعيدا ، علي بعد عشر دقائق بالسيارة من مكانك

– جيد، هل سنلتقي مجددا ؟

– بالطبع، دعني أستقر وأبدا العمل وسأرسل لك موقعي الجديد ويمكننا التقابل في أي مطعم قريب من مسكني، هم لن يسمحوا بدخول أحدهم إلي سكني إلا لو كان أحد العملاء

- حسنا ، أعتني بنفسك

- نعم وأنت أيضا، لا تنسي ان تنظم حياتك، وعد لزوجتك وأطفالك كما أخبرتني.

- سأفعل، لا تقلقي.

- حسنا ، وداعا

- أنتظري ، هناك سر أريد أن أخبرك به

- ما هو ؟

- أنا لست أفغاني، أنا باكستاني

- ليس هناك فرق بين الأثنين بالنسبة لي ، ولكن لماذا أخفيت عني الأمر ؟

- كنت لا أريد ان تعتقدي أن الباكستانيين سيئين

- أنا لا أري أحد سيئا علي الاطلاق، أنا لم انظر إلي جنسيتك حينما صادقتك، أنا انظر لك كإنسان أيا كنت

- إذن هذا لا يغير من الأمر شيء معك ؟

- لا ، ولكن من الجيد أنك صارحتني، هذا يعني انك تخطو قدما في صداقتنا

- أنا اعتز بها

- وأنا أيضا، سأنام الأن لأن لدي عمل مبكرا

- حظا طيبا

- ولك أيضا ، احلاما سعيدة

أنهي تواصله معها ثم استدار يحادث (شهيدة) شعر بأنه مقصر في حقها كثيرا هذه الأيام، ربما عليه أن يبدأ بداية جديدة معها ولذا ارسل لها الكثير من عبارات الغزل الذي لم تعتده أذناها قبل ذلك منه حتي أنها شعرت بالقلق فسألته إن كان بخير وهل أنه مريض أم لا ؟

شعر بأن سؤالها يفصله عن حالته وشخصه الجديد، فعاد يصبح جافا معها، هو مستعد لإصلاح ما بينهما وهي ليست مستعدة بعد، هذه هي اللعنة الأبدية بين الرجل والمرأة ، يفتقدان لحظة الاتفاق، حينما يكون هو مستعدا للوهب لا تكون هي مستعدة له والعكس صحيح ، حينما تقول المرأة هيت لك ، يكون الرجل في حالة معاذ الله.

توقف عن كلامه المعسول معها وحول وجهته لكلام أخر عن امور الحياة التقليدية في (باكستان) وكيف تجري الأمور مع أسرتها وغيره من الكلام الممطوط الممل قبل أن تستأذن منه في النوم لأنها مجهدة.

لم يشعر برغبة في النوم ، يشعر بالقلق من كل شيء حوله، علاقته بكلا من (شهيدة) و(ريناتا) علاقته بعمله، والأهم علاقته بربه، كل هذه العلاقات تسير بشكل لا يرضي عنه، حاول القيام للصلاة فتكاسل أو اثقلته ذنوبه وعلم هو ذلك، شعر بضيق في صدره ولم يشعر بنفسه إلا وهو يوسع هذا الضيق عن طريق فعل ذنب جديد.

ففتح جواله واخذ يسترق المتعة المحرمة مجددا عبر الأنترنت